

البداية والنهاية

ولو جاؤا برملة أو بهند ... لبايعنا أمير المؤمنين
وكان عبدة السلماني أعورا وكان أحد أصحاب ابن مسعود الذين يفتنون الناس توفى بالكوفة .
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين .

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه على يدى الحجاج بن يوسف الثقفى المبير
قبحه الله وأخزاه قال الواقدي حدثنى مصعب بن نائى عن نافع مولى بنى أسد وكان عالما بفتنة
ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة هلال الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة
خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة وقد
ذكرنا فيما تقدم أن الحجاج حج بالناس فى هذه السنة الخارجة وكان فى الحج ابن عمر وقد
كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتى بـ ابن عمر فى المناسك كم ؟ ثبت ذلك فى الصحيحين فلما
استهلت هذه السنة استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة
ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك وكان مع الحجاج الحبشة فجعلوا
يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقا كثيرا وكان معه خمس مجانيق فألج عليها بالرمدى من كل مكان
وحبس عنهم الميرة والماء فكانوا يشربون من ماء زمزم وجعلت الحجارة تقع فى الكعبة
والحجاج يصيح بأصحابه يا أهل الشام الله فى الطاعة فكانوا يحملون على ابن زبير حتى
يقال إنهم آخذوه فى هذه الشدة فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب
بنى شيبه ثم يكرون عليه فيشد عليهم فعل ذلك مرارا وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول هذا
وأنا ابن الحوارى وقيل لابن الزبير ألا تكلمهم فى الصلح فقال والله لو وجدوكم فى جوف
الكعبة لذبحوكم جميعا والله لا أسألهم صلحا أبدا .

وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلوا
أصواتها على صوت المنجنيق ونزلت صاعقة فأصابت من الشاميين اثنى عشر رجلا فضعت عند ذلك
قلوبهم عن المحاصرة فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول إنى خير بهذه البلاد هذه بروق تهامة
ورعودها وصواعقها وإن القوم يصيبهم مثل الذى يصيبكم وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من
أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضا فجعل الحجاج يقول ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم
وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق
ويقولون ... مثل الفنيق المزيد ... ترمى بها أعواد هذا المسجد
فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقتة فتوقف أهل الشام عن الرمدى والمحاصرة فخطبهم

الحجاج فقال ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا
تقبل منهم فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته فعادوا إلى المحاصرة